الأحلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

الأحلام — كما درسها بعض العلماء — تبين اشتغال الشعور الباطن ، وتقيم الدليل على تلك المشكلة التي طالما حير الإنسان فهمها . والحلم حالة نفسية يشتمل على ما نراه في نومنا من صور وتمثلات غريبة في الترتيب عجيبة في الظهور . وهذه لا تتكون دائماً من الأشياء والشئون المعلومة لدينا في اليقظة ، بل قد تكون أشياء وأموراً نجهلها تماماً . وللأحلام معنى مهم يتعلق بتوازن حياتنا اليقظة Waking life وليس اللاشعور مجرد نظرية ، ولكنه جزء من الطبيعة البشرية التي يمكن أن تظهر بواسطة الأحلام . فلكي نفهم الحلم علينا أن ندرك معنى اللاشعور . الشعور هو جزء صغير فقط من شخصيتنا . أما اللاشعور — الذي يتألف غالباً من التأثيرات ، والنزعات الموروثة والمكتسبة ، والرغبات الجنسية المكبوحة — فيكوّن الجزء الأكبر من الذات الحقيقية Real self

فإذا كانت هذه الحياة اللاشعورية غير منسجمة مع الذات الشعورية فإنها ستستولي علينا بالتدريج وتتلف فهمنا للحياة . هذا من حيث إمكان مساعدة الأحلام لنا

إننا جميعاً نرغب في أكثر مما نملك . ولما كان الطموح هو ينبوع الحياة ، فإن النزعات المكبوتة يمكن أن تقلب حياتنا المنتعشة إلى حياة خاملة . فالأحلام تمهد السبيل للتهرب من الحقيقة ، وفي الأحلام يقوم الناس بما قد يكون مستبهماً عليهم في عالم الحقيقة

كثير من الأحلام يأخذ صورة إرضاء الرغبة Wish-fulfilment والرغبة يمكن أن تميّز بسهولة ، ولكن هناك كثيراً من الرغبات الغامضة . وهذه الرغبة الغامضة هي التي تسبب معظم القلق . وفي اللاشعور يكتمن الكثير من الرغبات الغريزية التي لا يمكن أن تكون مرضية في الحياة العادية من غير ما تناقض مع الدستور الاجتماعي للفرد ، واحترامه الذاتي

وهكذا نرى أن الميول التي نرضيها ونشبعها أثناء النهار لا تحتاج إلى إرضاء في الأحلام

والأحلام ربما تكون في الأصل جنسية ، سواء أكانت الذكرى من الطفولة المبكرة أم من الكبت الحالي ، أو ربما تكون متعلقة بذوي القربى في صورة رغبة لاشعورية لموتهم أو لبعدهم ؛ أو ربما تكون أيضاً شهوة للقوة . هذه الأمثلة غالباً ما تكبح ولا يسمح بظهورها ، لأنها متناقضة مع الحياة اليومية ، الحياة الواعية الشعورية ، ولأن الرقيب Censor من جهة أخرى يمنعها من الظهور بضغطه عليها . ولكنها قادرة على إظهار نفسها أثناء النوم عندما تتعطل الحواس وتنقطع عن العمل ، وتكون الرقابة الأخلاقية على العقل الواعي مسترخية Relaxed . عندئذ يدأب اللاشعور في عمله فينسج لنا حياة أخرى يعيش المرء فيها غاطساً في إحساساته وتصوراته وانفعالاته وآماله المكبوتة التي لم يتمكن من تحقيقها ، فتتجسم إذ ذاك تلك الإحساسات والتصورات ، وتتوالد وتظهر منها سلسلة وقائع قد تكون من الغرابة بمكان . إلا أن هذى الرغبات لا تجرؤ على الظهور بمظاهرها الحقيقية حتى ولا في الأحلام ، بل تتستر وراء أشكال ورموز ظاهرها برىء

وهذا هو السبب في أن أكثر الأحلام مزاج Jumble من الماضي والحاضر ، ومجموعة مختلفة من الناس ؛ وهذه التمثلات تتلون غالباً بصور معاني ما اختزنه الإنسان في عقله الباطن في حالة صحوه ويقظته . كما أن الأفكار والرغبات وآثار الأعمال ، وما يُلقَّن عن الغير من صنوف الإيحاء قد تكون مادة الأحلام وأشكالها

ومن هنا تنشأ الفكرة بأن الأحلام ما هي إلا صحيفة أخرى من صفحات حياتنا الكثيرة ، ومظهر آخر من مظاهر فعالية النفس